

الوافي في الوفيات

ليسق عهدكم عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رباحينا .
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيّرنا ... أن طالما غير النأي المحببنا .
واٍ ما طلبت أرواحنا بدلاً ... منكم ولا انصرفت عنّا أمانينا .
يا ساري البرق غاد القصر فاسق به ... من كان صرف الهوى والود يسقينا .
ويا نسيم الصبا بلّغ تحيّتنا ... من لو على البعد حيّاً كان يحيينا .
ريبب ملكٍ كأنّـ اٍ أنشأه ... مسكاً وقدر إنشاء الورى طينا .
إذا تأوّد آدته رفاهيةً ... تؤم العقود وأدمته البرى لينا .
يا روضةً طالما أجت لواحطنا ... ورداً جناه الصبا غضّاً ونسرينا .
يا جذّة الخلد أبدلنا بسلسلها ... والكوتر العذب زقّوماً وغسلينا .
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا ... والسعد قد غضّ من أجفان واشينا .
سرّان في خاطر الظلماء يكتمنا ... حتى يكاد لسان الصبح يفشينا .
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سوراً ... مكتوبةً وأخذنا الصبر تلقينا .
أما هواك فلم نعدل بمنهله ... شرباً وإن كان يروينا فيظميننا .
لم نجف أفق جمالٍ أنت كوكبه ... سالين عنه ولم نهجره قالينا .
ولا اختياراً تجنّبناك عن كذبٍ ... لكن عدتنا على كره عوادينا .
نأسى عليك وقد حثت مشعشةً ... فينا الشمول وغدّنا مغدّينا .
ل أكؤس الراح تبدي من شمائلنا ... سيما ارتياحٍ ولا الأوتار تلهينا .
دومي على الوصل ما دمنا محافظةً ... فالحرّ من دان إنصافاً كما ديننا .
فما استعضنا خليلاً عنك يصرفنا ... ولا استفدنا حبيباً منك يسلينا .
ولو صبا نحونا من علو مطلععه ... بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبيننا .
أبدي وفاء وإن لم تبدلي صلةً ... فالذكر يقنعنا والطيّف يكفيننا .

قال ابن بسام : وقد عارضها جماعة قصرت عنها منهم أبو بكر بن الملح قال من قصيدة أولها

:

هل يسمع الربع شكوانا فيشكيننا ... أو يرجع القول مغناه فيغنيننا .
يا باخلين علينا أن نودّهم ... وقد بعدتم عن اللقيا فحيوّننا .
قفوا نزرکم وإن كانت فوائدکم ... نزرّاً ومنکم بالوصل ممنونا .
سترتم الوصل ضدّاً لا فقدتکم ... وكان بالوهم موجوداً ومظنوننا .

سرى من المسك عن مسراكم خبرٌ ... يعيد عهد هواكم نشره فينا .
أيام بدركم يحيي ليالينا ... قريباً وطبيكم يرعى بوادينا .
مهلاً فلم نعتقد دين الهوى تبعاً ... ولا قرأنا بصحف الحسن تلقينا .
قد نصرف العذل يغوينا ويرشدنا ... ونترك الدار تشجينا وتسلينا .
ونتبع الحيّ والأشواق محرقةٌ ... تحوم بالماء والأرماح تحميننا .
كواكبٌ بسماء النقع قد جعلت ... لنا رجوماً وما كنا شياطينا .
ومن شعر ابن زيدون :

أما منى قلبي فأنت جميعه ... يا ليتني أصبحت بعض مناك .
يدني مزارك حين شطّ به النوى ... وهمٌ أكاد به أقبّ لفاك .
ومنه قوله :

إن الجهاورة الملوك تبوّأوا ... شرفاً جرى معه السماك جنيبا .
فإذا دعوت وليدهم لعظيمةٍ ... لبّاك رقراق السماح أريبا .
هممٌ تعاقبها النجوم وقد تلا ... في سؤدد منها العقيب عقيبا .
ومحاسنٌ تندى دقائق ذكرها ... فتكاد توهمك المديح نسيبا .
ومنه قوله من قصيدة في عباد يمدحه في العيد :

ولما قضينا ما عنانا قضاؤه ... وكلٌّ بما أوليت داعٍ فملحف .
رأيناك في أعلى المصلى كأنما ... تطلّع من محراب داود يوسف .
ومنه قوله :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع ... سرٌّ إذا ذاعت الأسرار لم يذع .
يا بائعاً حظّه مني ولو بذلت ... لي الحياة بحظّي منه لم أبع